

إِنَّ الْإِنْسَانَ بِطَبِيعَتِهِ يَمِيلُ إِلَى قُرْبِ الْآخِرِينَ. لِذَلِكَ يَتَمَسَّكُ بِالْوَسَائِلِ الَّتِي تُقَرِّبُهُ إِلَى شَخْصٍ أَوْ شَيْءٍ مَا. فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى الطَّيِّبِ الْحَسَنِ الْبَاقِي، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى الْقَبِيحِ الْخَبِيثِ الْفَانِي. فَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِ مَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ وَيَبْغِي الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَانظُرُوا مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى

فِيمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ وَنَالَ حَبَّهُ. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ»¹

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾² فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْأَخْذِ بِالْوَسَائِلِ لِلتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ. وَلَمْ يَقْتَصِرِ اللَّهُ عَلَى الْأَمْرِ بِأَخْذِ الْوَسَائِلِ بَلْ وَصَفَهَا. فَإِنَّ الْوَسِيلَةَ هِيَ التَّوَصُّلُ إِلَى الشَّيْءِ بِرَغْبَةٍ (...). وَحَقِيقَةُ الْوَسِيلَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: مُرَاعَاةُ سَبِيلِهِ بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَتَحْرِيْرُ مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ.³

أَلْفَهُمُ الْخَاطِئُ لِلْوَسِيلَةِ خَطِيرٌ جَدًّا إِذْ أَنَّهُ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى تَفْدِيسِهَا - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ. فَاتَّخَذَ مُشْرِكُو مَكَّةَ الْأَصْنَامَ وَسِيلَةً لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ شَرَعُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَقَالُوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁴

وَالْآيَاتُ تَحْتُنَا عَلَى الْجِهَادِ كَوَسِيلَةَ. وَكَلِمَةُ الْجِهَادِ تَتَّصِفُ بِمَعَانِيَا كَثِيرَةً فَإِنَّهَا تَشْمَلُ كُلَّ عَمَلٍ حَسَنٍ قَامَ بِهِ صَاحِبُهُ لِرُجَاةِ اللَّهِ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلَ،

إِنَّ قُرْبَنَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ عَلَى حَسَبِ مَا نَفْدِيهِ فِي سَبِيلِهِ. فَالْإِنْسَانُ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَلَى حَسَبِ مَا يُنْفِقُ فِي سَبِيلِهِ مِنْ مَالٍ، وَنَفْسٍ، وَشَبَابٍ، وَوَقْتٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾⁵ وَوَصَفَ هَذَا الْقُرْبَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁶

وَلَكِنْ قُرْبُ الرَّبِّ إِلَى عَبْدِهِ لَا يَسْتَلْزِمُ قُرْبَ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ. فَإِنَّ التَّقَرُّبَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِالْوَسَائِلِ وَهَذَا مَا نُسَمِّيهِ جِهَادًا. نَعَمْ، اللَّهُ قَرِيبٌ إِلَيْنَا وَلَكِنْ أَيْنَ نَحْنُ مِنْهُ؟ مَنْ أَوْ مَا نَبْتَغِي إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ؟ فَلْنَحَاسِبْ أَنْفُسَنَا بِهَذِهِ الْأَسْئَلَةَ.

جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِالْوَسَائِلِ الَّتِي تُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ. آمِينَ

⁴ سورة الزمر: ٣

⁵ سورة البقرة: ١٨٦

⁶ سورة ق: ١٦

¹ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، ٣٨

² سورة المائدة: ٣٥

³ انظر الراغب الإصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، و س ل